

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[115] إِنَّ غُلُو النَّصَارَى مَعْرُوفٌ، إِلَّا أَنْ غُلُو الْيَهُودِ، الَّذِي يَشْمَلُهُمْ تَعْبِيرُ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) قَدْ يَكُونُ إِشَارَةً إِلَى مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ عَنِ الْعَزِيرِ وَقَدْ اعْتَبَرُوهُ ابْنُ الْقَاسِمِ، وَلَمَّا كَانَ الْغُلُو يَنْشَأُ - أَكْثَرَ مَا يَنْشَأُ - عَنِ اتِّبَاعِ الضَّالِّينَ أَهْوَاءَهُمْ، لِذَلِكَ يَقُولُ الْقَاسِمُ سُبْحَانَهُ (وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ). وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ أَيْضًا إِلَى مَا انْعَكَسَ فِي التَّأْرِيخِ الْمَسِيحِيِّ، إِذْ أَنْ مَوْضِعَ التَّثْلِيثِ وَالْغُلُو فِي أَمْرِ الْمَسِيحِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمْ يَكُنْ لَهُ وَجُودٌ خِلَالَ الْقُرُونِ الْأُولَى مِنَ الْمَسِيحِيَّةِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا اعْتَنَقَ بَعْضُ الْهِنْدُ وَامْتَالَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الْمَسِيحِيَّةِ أُدْخِلُوا فِيهَا شَيْئًا مِنْ دِينِهِمُ السَّابِقِ، كَالْتَّثْلِيثِ وَالشَّرْكِ. إِنَّ الثَّلَاثِ الْهِنْدِي (الْإِيمَانُ بِالْآلِهَةِ الثَّلَاثَةِ: بَرَهْمَا، وَفِيشْنُو، وَسِيغَا)، كَانَ تَارِيخِيًّا أَسْبَقَ مِنَ التَّثْلِيثِ الْمَسِيحِيِّ الَّذِي لَا شَكَّ أَنْزَعَهُ انْعِكَاسُ لَذَاكَ، فَفِي الْآيَةِ الثَّلَاثِينَ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ وَبَعْدَ ذِكْرِ غُلُو الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي مَسْأَلَةِ الْعَزِيرِ وَالْمَسِيحِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ سُبْحَانَهُ (يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ). وَقَدْ وَرَدَتْ كَلِمَةُ "ضَلُّوا" فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَرَّتَيْنِ بِالنِّسْبَةِ لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ اقْتَبَسَ مِنْهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْغُلُو، وَلَعَلَّ هَذَا التَّكَرُّارُ مِنْ بَابِ التَّوَكِيدِ، إِذْ أَنْزَعَهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الضَّالِّينَ، ثُمَّ لَمَّا أَضَلُّوا "لَاخِرِينَ" بِدَعَاوَاهُمْ وَقَعُوا فِي ضَلَالٍ آخَرَ، وَمَنْ يَسْعَى لِتَضْلِيلِ الْآخِرِينَ يَكُونُ أَضَلَّ مِنْهُمْ فِي الْوَاقِعِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ اسْتَهْلَكَ قَوَاهُ لِدَفْعِ نَفْسِهِ وَدَفْعِ الْآخِرِينَ إِلَى طَرِيقِ التَّعَاسَةِ وَلِحَمْلِ آثَامِ الْآخِرِينَ أَيْضًا عَلَى كَاهِلِهِ، وَهَلْ يَرْتَضِي الْمَرْءُ السَّائِرَ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ أَنْ يَضِيفَ إِلَى آثَامِهِ آثَامَ غَيْرِهِ أَيْضًا؟ * * *